الشباب النقابي داخل الجامعة و الأزمات السياسية

المغيبون الأكثر حضورا

الاتحاد العام لطلبة تونس أنموذجا

هدى العربي* - جامعة تونس

ملخّص :

إن الحديث عن ديناميكية التوحد والانقسام في علاقة الدولة والمجتمع يدفعنا لتتبع الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين الذين يتوسطون هذه العلاقة خاصة في الأزمات السياسية الكبرى لعلنا نتمكن من فهم علاقات الترابط بينهما وعملية الشد والجذب التي تحكم الصراعات والنزاعات السياسية والمجتمعية، وتعتبر المنظمة النقابية الطلابية «الاتحاد العام لطلبة تونس» من أهم الفاعلين الاجتماعيين في تاريخ تونس السياسي والتي لعبت دورا مهما ضمن هذه الديناميكية من خلال النشاط النضالي الشبابي النقابي الذي قامت به وبناء على هذه المنطلقات حاولنا تتبع نشاط الشباب داخل هذه المنظمة النقابية الطلابية وأدوارها عبر أجيالها المتعاقبة التي انخرطت فيها كبناء ثقافي واجتماعي له خصوصيته ساهم في خلق ثقافة نضالية خصوصية و سعينا أيضا إلى تحليل أوجه التواصل والقطيعة لأجيالها الثلاثة وفهمها.

الكلمات المفاتيح :

النضال النقابي - الشباب - الأجيال- الأزمة السياسية - مجموعة الضغط - الحركة الاجتماعية.

مقدّمة :

إن التطرق إلى دراسة الشباب تعتبر مسألة مهمة لتنوع أشكاله التعبيرية والمجالات التي يشغلها والسجلات التي يستدعيها وجوده ضمن أطر اجتماعية مختلفة في علاقته بالمحلي والدولي وبالوسائل التي يحشد بها القوى المجتمعية ولانخراطه في التنظيمات التي تجسد ثقافته. فتستمر هذه الديناميكيات وتنقطع من خلال التواصل والقطيعة بين الأجيال بما أن الأجيال هي مجموعة من الأفراد داخل الجيل الواحد تعاصر فترة زمنية تشهد أحداثا تاريخية وسياسية تؤثر في وعيهم المشترك بالواقع الاجتماعي إلى حد وصوله مرحلة النضج، فيجعل من هؤلاء الأفراد «جيلا في الواقع» تتشكل حياة أفراده وخبراتهم وتجاربهم ومواقعهم ومكاناتهم وأدوارهم كاستجابة للأحداث التاريخية التي لها تأثير كبير في نظرتهم إلى الوجود و إلى الحياة والمتصلة بسيرورة التغيير الاجتماعي والمؤثرة في الوضعيات التاريخية لتبرز الوحدات الجيلية[2] أو ما يُسمى

---

[1]*. باحثة في علم الاجتماع جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس تشتغل حول الحركات الاجتماعية والأزمات السياسية والنوع الاجتماعي وأستاذة بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس.

[2]. يعتبر الجيل ديمغرافيا في فترة عمرية ما بين 30 سنة و 33 سنة.

بالأجيال الاجتماعية، فمكانة الشباب و أدواره استدعى اهتمام الدارسين ضمن عديد المجالات العلمية. وفي علم الاجتماع مازالت هذه الفئة تطرح على الباحثين عديد الهواجس العلمية. ومن هنا جاءت دراستنا ضمن هذا المنحى العلمي وهو ما دفعنا إلى النظر والتفحص في الشباب التونسي وفي أدواره المهمة في تاريخ تونس السياسي نظرا لبقائه مغيبا ومهمشا ولعدم ارتقائه إلى مستوى النضالات النقابية والسياسية التي قدمها. ومن خلال هذا المقال اخترنا فئة أساسية لتحليل الطلبة الشبان الذين نشطوا تحت غطاء المنظمة النقابية «الاتحاد العام لطلبة تونس» داخل أسوار الجامعة التونسية عبر جيلين إثنين متعاقبين[3].

لقد مثلت النخب الطلابية داخل الجامعة في تونس وسيطا حقيقيا في جدلية الدولة والمجتمع وخاصة خلال الأزمات السياسية التي عاشها المجتمع وهو ما حثنا إلى تتبع هذه الفئة وقراءة مساراتها النضالية سوسيولوجيا باعتبارها فاعلا مبنيا اجتماعيا وثقافيا له خصوصيته و ملمحه وهويته ومنطقه وأنماط فعله مع فهم أوجه التواصل والقطيعة وتحليلها من خلال الأجيال المتعاقبة في مسارات نشاطه. إن ديناميكية التوحد والانقسام في علاقة الدولة والمجتمع تدفعنا إلى تتبع الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين الذين يتوسطون هذه العلاقة خاصة في الأزمات السياسية الكبرى لعلنا نتمكن من فهم علاقات الترابط بينهما وعملية الشد والجذب التي تحكم الصراعات والنزاعات السياسية والمجتمعية، وتعتبر المنظمة النقابية الطلابية «الاتحاد العام لطلبة تونس» [4]من أهم الفاعلين الاجتماعيين في تاريخ تونس السياسي باعتبارها منظمة نقابية لها دورها ضمن هذه الديناميكية من خلال النشاط النضالي النقابي لشبابها.

إلى أي مدى يمكننا القول أن الشباب الطلابي المنخرط داخل المنظمة النقابية UGET في الجامعة التونسية يمثل حركة اجتماعية ؟أم أنه مجموعة ضغط تتوسط الجدلية القائمة بين الدولة والمجتمع ؟ ما هو الدور الذي يشغله الطلاب المنخرطون في توسطهم للصراع بين الدولة والقوى المجتمعية والذي يبرز من خلال الأزمات السياسية الكبرى التي عاشتها تونس؟ و إلى أي مدى يمكننا اعتبار قوى الشباب عبر جيلي العمل النقابي داخل الجامعة التونسية بناء اجتماعيا وثقافيا متواصلا منهجية العمل : سنعتمد في هذا المقال المنهج التفهمي والمنهج التاريخي لتتبع النشاط النضالي الطلابي وتتكون عينة بحثنا من ثمانية ذكور وأنثى منهم طالبان وخمسة اساتذة ومهندسان نشطوا داخل هياكل الحركة الطلابية تتنوع مواقعهم القيادية والقيادية لوجودهم في عدة أجيال طلابية كما هو مذكور ومن عدة الون سياسية متنوعة مثلت تشكيلات سياسية لها وزنها داخل اطر الجامعة التونسية [5] و خاضت تجربة النضال داخل الجامعة في الهيكل التنظيمي النقابي داخل الجامعة

---

[3]. بما أن تأسيس الاتحاد كان سنة 1952.

[4]. الإتحاد العام لطلبة تونس بالفرنسية Union Générale des Etudiants de la Tunisie أو بإختصارUGET) هو المنظمة النقابية الطلابية الرئيسية في تونس. يدافع الإتحاد عن الحقوق المادية والمعنوية والبيداغوجية لعموم الطلبة في الجامعة التونسية ويدعم حركات التحرر الوطني وحركات التحرر في العالم على رأسها القضية الفلسطينية.
شعاره : نضال،استقلالية،صمود،ديمقراطيةتأسسكهيكلتوحيدلمنظمةعمومطلبةشمالإفريقيا المسلمينوجمعيةالطالبالتونسيوصوتالطالبالزيتونيإضافةإلى هيئات التنسيق التلمذي بتونس في بداية سنة 1952 تحت اسم الإتحاد العام للطلبة التونسيين. وانعقد مؤتمره التأسيسي في العاصمة الفرنسية باريس في جويلية 1953.

[5].تتكوّن العيّنة من :
المبحوث (ج، ن) مهنته مهندس فلاحي وهو متقاعد الآن كان قياديا بتنظيم برسبكتيف وسجينا نقابيا وسياسيا طلابيا سابقا، متزوج، من جهة تونس.
المبحوث (هـ، ز) مهنته مهندس فلاحي وهو متقاعد الآن كان قياديا في تنظيم العامل التونسي وسجينا نقابيا وسياسيا طلابيا سابق، متزوج، من جهة قابس.

«الاتحاد العام لطلبة تونس» بتشكيلاته النقابية والسياسية من جيل برسبكتيفPerspective مرورا بجيل العامل التونسي[6] إلى جيل الهياكل النقابية المؤقتة[7] إلى مرحلة اندثار هذه التشكيلات وبقاء هيكل وحيد بألوان سياسية متعددة تحت مسمى «الاتحاد العام لطلبة تونس».

الاتحاد العام لطلبة تونس : ظرفية النشأة وتشكل الهيكل التنظيمي.

إن ارتباط حركة المجتمع والتحولات التاريخية بالفاعل الجماعي تطرح اسئلة عديدة تستوجب إيجاد مبررات سوسيولوجية مقنعة منها اعتبار الفاعل الجماعي مفهوما ضروريا لفهم الظواهر السوسيو-سياسية والسوسيو-تاريخية فهو المنتج للخلق الاجتماعي باعتبار ارتباطه بصفة نخبوي ملتزم ومثقف ومناضل بالقوى الاجتماعية التي يعبر عن هواجسها وآمالها. كما يمثل أداة تحليل سوسيولوجية مهمة تفهمنا مكونات البنيات الداخلية وارتباطها بسياقاتها التاريخية و الاجتماعية والسياسية فلا تكتسب الأحداث أهمية دون تحديد القوى الفاعلة فيها ودورها وبالتالي يرتبط كل ابداع وخلق اجتماعي بفاعل جماعي يتشكل من مجموعة اجتماعية بعينها تتجاوز الفرد رغم قدرة فعله في الظواهر. لكن هذه المعطيات الفردية غير كافية لفهم كل ما ينتجه الاجتماعي كنمط من التعبير وكظواهر تاريخية «فالفاعل الجماعي لا يعني مجرد

المبحوث(و، ن) أستاذ إنجليزية الآن نشط بصفة قيادي في الاتحاد العام لطلبة تونس من جهة سوسة و أمين عام مؤتمر البناء للاتحاد العام لطلبة تونس 2013، متزوج.

المبحوث (ا، ب) طالب في قسم الفلسفة، قيادي بالاتحاد العام لطلبة تونس وعضو اللجنة الوطنية للاتحاد العام لطلبة تونس وهو أعزب.

المبحوث(ن، ز) طالب ماجستير بالمدرسة العليا للعلوم والتقنيات بتونس و عضو مكتب تنفيذي لمؤتمر «من أجل رد الاعتبار للحركة الطلابية «2013 (طرف سياسي حركة جيل جديد) وعضو اللجنة الوطنية للاتحاد العام لطلبة تونس وهو أعزب.

المبحوث (ا، ب) باحث في الاثار نشط في «تنظيم الطلبة العرب» والاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام لطلبة تونس وينشط الآن مدونا متزوج ومن جهة سيدي بوزيد.

المبحوث (ع، ب)، أستاذ تاريخ، أعزب نشط ضمن تنظيم «طلبة قوميون» بالاتحاد العام لطلبة تونس وهو مكون طلابي مركزي من جهة قفصة.

المبحوث(ح، ب) أستاذ إنجليزية، أعزب من جهة صفاقس ناشط طلابي في الاتحاد العام لطلبة تونس تحت اللون السياسي للوطنيين الديمقراطيين بالجامعة والناطق الرسمي باسم هذا الطرف السياسي.

المبحوثة(س، م) باحثة في التاريخ المعاصر، متزوجة وقاطنة بفرنسا وناشطة وقيادية سابقة الاتحاد العام لطلبة تونس وناشطة باتحاد المعطلين عن العمل ومن «الطلبة المفروزين امنيا وهم نشطاء سابقون داخل هياكل تنظيم «الاتحاد العام لطلبة تونس» ونشطاء لاحقا داخل «اتحاد اصحاب الشهائد المعطلين عن العمل» وقع فرزهم في السابق باعتماد معطيات واردة في تقارير امنية او ما يعرف بتقارير اعوان البوليس السياسي او الارشاد لأنهم عناصر مشاغبة ومعارضة للنظام السياسي التونسي.

[6] منظمة برسبكتيف العامل التونسي، هي حركة يسارية تونسية نشطة بين أوائل الستينات إلى منتصف الثمانينات. تعدّ هذه المنظمة الجيل الاول من الحركات اليسارية في تونس و تعود جذورها الى اولى التشكيلات السياسية داخل الجامعة عرفت بمجموعة العامل التونسي التي التقت حول جريدة العامل التونسي وهي نشرية باللغة الدارجة أسست عام 1969. أصبحت الجريدة ناطقة باسم حركة آفاق-العامل التونسي بعيد صدورها إلا أن استقلت عنها عام 1971 لتشكل نواة لمنظمة العامل التونسي. التحق بالمنظمة عدد كبير من الطلبة من ذوي التوجهات المختلفة من ماركسيين و ماويين و تروتسكيين وقوميين يساريين مما أثر لاحقا على تجانسها وقد أضفت التباينات الإيديولوجية داخل الحركة إلى حصول انقسامات أدت إلى ظهور أكثر من تيار منشق مثل «العامل التونسي - الخط الثوري» و»العامل التونسي -مجموعة 77».... اتخذت المنظمة مواقف راديكالية من الحكم البورقيبي ونظام الحزب الواحد مما عرض أعضاءها للاعتقال والمحاكمات السياسية منذ عام 1973 ثم عامي 1974 و1975. افرج عن آخر معتقلي الحركة عام1980 إثر أحداث قفصة واستقبل بعضهم من قبل الرئيس الحبيب بورقيبة في قصره بصقانس بقيت الحركة ناشطة في فترة الثمانينات أساسا في الوسط الطلابي حيث اصطدمت بحركة الاتجاه الإسلامي الصاعدة آنذاك و ظلت منظمة العامل التونسي، حتى اندثارها في أواسط الثمانينات، تقوم بإصدار بعض المنشورات أو البيانات كان من أواخرها البيان الذي أصدرته بعد أحداث الخبز عام 1984 .

[7]. تأسست الهياكل النقابية المؤقتة في بدايات سنة 1976-1977 وهي الفترة الاولى من العشرية الاخيرة من حكم بورقيبة لتونس مثلت هياكل الحركة الطلابية لم تختر بطريقة انتخابية مثلما جرت العادة داخل تنظيم الاتحاد العام لطلبة تونس الذراع النقابي للحركة، عرفت هذه الهياكل صعوبة لانقسامها الى لجنتين جامعيتين واحدة يتزعمها المنتمون الى «الحزب الشيوعي التونسي» سابقا وثانية يتزعمها الاتجاه الديمقراطي العام الذي يضم جملة من التيارات السياسية التي تمثل فريقا متكونا من الديمقراطيين و الوطنيين الديمقراطيين والقوميين العرب والماركسيين العرب والبعثيين والإسلاميين التقدميين... كألوان سياسية داخل الجامعة التونسية وهيمن بعد فترة وجيزة الفريق الثاني على قيادات المكاتب الفيدرالية للكليات والمعاهد العليا.

مجموعة من الأفراد تواجدوا بطريقة ما، إنه يعني الطبقات الاجتماعية التي تكون البنية التحتية لرؤى العالم»[8]ومن هنا جاء اهتمامنا بالتنظيم النقابي الطلابي داخل الجامعة «الاتحاد العام لطلبة تونس» بتشكيلاته الاجتماعية والسياسية.

في السلطة والأزمة وحركة المجتمع : دفع نحو التغيير الاجتماعي

إن حركة المجتمع وتحوله ضمن جدلية ثلاثية للحركة والنظام و الأزمة بطريقة متواصلة تدفع الحركات إلى قدرة فعل اللا متوقع و اللامنتظر و تسهم في إعادة تشكيل البنيات المجتمعية لذاتها وبذاتها فكل نظام سياسي واجتماعي لا يخلو من الاهتزازات و الأزمات والخروج عن الضوابط فيصبح تدخل الفاعلين الاجتماعيين ضروريا بمعنى نظري ديناميكي. فالتغيير الاجتماعي ليس منمَطا بل خاضع دائما إلى التحولات و هو مستمر لا يستند إلى العناصر الموضوعية بصفة مطلقة ولا الذاتية بصفة مطلقة وهو ليس انتقال من نموذج أول إلى نموذج ثان بل هو خلق وتجديد وتداخل لكل ما هو اجتماعي فيلازم عنصر اللا نظام النظام ليخلق الأزمة ليحدث التحول الكبير في مستوى البنيات الاجتماعية والسياسية.

وتكون الديناميكيات كاشفة لمظاهر السلطة المجزأة فتاتي الحركة بمعنى جورج بالانديي بانها» هي الاضطراب الذي يصاحبها بشكل دائم في كل الحضارات وفي كل الثقافات«[9].

اهتمّ بلانديي بمختلف فترات التحولات التاريخية وما يتصل بالحركة من مفاهيم، انطلاقا من الفوارق بين التقليد والحداثة مرورا بالإفراط في الحداثة والكونية الجديدة ووصولا إلى واقع العالم الجديد في المرحلة الأخيرة وهو العالم الافتراضي [10]، إنّ هذه الفوضى الكامنة أو الممكنة أو الحاصلة هي عنصر قائم بذاته في مختلف المجتمعات وهي عنصر تحوّل وتغيير وبحث عن التوازن والنظام إلاّ أنّ بلانديي لا يهتمّ بالفوضى على اعتبارها عنصرا موضوعيا وإنّما ينظر إليها هه الفوضى من خلال الفعل الاجتماعي أي طرق تفاعل المجتمعات وعناصره الداخلية أو المجموعات مع الاضطراب هو ذلك مفهوم الحركة.

وهنا تكمن قيمة النظر إلى مفهوم الأزمة باعتبارها اختلالا يحدث في سلم القيم والمعايير التي تحكم وجود المجتمع وتنظمه و تسيره بما هو مجموعة من العلاقات ذات الطابع المؤسسي تخضع لقواعد تحظى بالاتفاق النسبي للأفراد والجماعات، ويتجلى الاختلال بحدة في غياب إطار مرجعي يمثل قاعدة مقبولة لبلورة نماذج الفعل وأنماط السلو ك والعلاقات، وفي الوقت ذاته معيارا لتقويم تلك النماذج والأنماط الفعلية مقابل أنموذج آخر يرتبط في جزء كبير منه بعجز المجتمع عن تحقيق الانتقال من وضعية متميزة بسيطرة بنى اجتماعية، تحدد هويتها التفاعل مع المحيط ومواجهة التحديات والضغوط التي يفرضها وسط اجتماعي وسياسي و مرجعياته، بعد أن يكون دورها ومكانتها قد تحددا في إطار النسق العام الذي يعين كذلك أساليب الحراك الاجتماعي وطرق التداول على السلطة ودوران النخب، وأسس توزيع القوة في المجتمع، إضافة إلى مأسسة ظاهرة الصراع الاجتماعي.

---

[8].الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، صفاقس، دار محمد علي الحامي للنشر، 1988، ص. 46.

[9]. Georges Balandier, Le désordre, Paris, Fayard, 1989, p. 237.

[10]. Georges Balandier, *Le Grand Système*, Paris, Fayard, 2001.

و برز الحديث عن الأزمات في علم الاجتماع من خلال مقاربات نتجت من رحم «الأحداث الطلابية في 1968 والتي استطاعت الجامعة من خلالها أن تقود المجتمع الفرنسي برغم كونها لم ترتق إلى «ثورة «لتحدث تغييرا في نسق العلاقات والقيم كما أنها لم تحدث صراعا اجتماعيا حادا ولا ساهمت في قلب نظام الرأسمال في فرنسا»[11].

فلم تحل الأزمة في الجامعة بل خارجها من خلال ثلاثية سماها عالم الاجتماع الفرنسي ادغار موران «الجامعة - الشباب- الانتلجنسيا «والتي تستلزم «وعيا بالأزمة «لأنها خلقت «أزمة وعي حقيقية»[12]، كما ساهم «بودون» من خلال مقاربته للأزمة داخل الفضاء الجامعي لفهمه فانطلق في طرح معارض «لموران» من خلال تشريح فئتي الأساتذة والطلبة، «فالجامعة في تلك الفترة تميزت بارتفاع نسبة التمدرس خاصة منها التعليم الجامعي وارتفعت نسبة الطلبة مقارنة بإنكلترا وألمانيا فتطور عدد الطلبة ما بين 1955/1954 من 150631 إلى 499442 سنة الأزمة بفرنسا كما صاحب ذلك التطور ظروف تأطير غير جيدة ضمن عديد التخصصات الجامعية، فكان صعبا توفير أطر جامعية تؤمن الدروس للطلبة بصنفيها النظري والتطبيقي والإشراف على الرسائل البحثية بمختلف أصنافها ومراحلها مما دفع السلطة إلى اعتماد نظام الساعات الإضافية التي تؤمنها شرائح عديدة من غير الجامعيين ثم الاستنجاد بأساتذة التعليم الثانوي بما في ذلك من تعوزهم الكفاءة المطلوبة جامعيا فتردى مستوى الطلبة وتوسع الفشل في دائرة صفوفهم وغادر العديد منهم صفوف الجامعة و القليل أصبح يميل إلى» البطالة الفكرية «لا سيما طلبة علم الاجتماع الذين ساهموا بدور مركزي في الأحداث الطلابية.»[13]

إذا أزمة الجامعة حسب بودون يمكن فهمها بناء على عاملين إثنين الأول : لا وظيفية النظام الجامعي الفرنسي الذي كان مفتقدا إلى تصور لتوجيه الطلبة حسب المؤسسات الجامعية وغياب الحوار بين هيئات التدريس والطلبة وهي وظيفة كانت تؤمنها العائلة في فترة كان دخول الجامعة مقتصرا على الفئة البورجوازية أو النخبة البورجوازية. والثاني : عامل هيكلي ومرتبط كثيرا بتحولات الجامعة من طبيعتها البورجوازية إلى فضاء الطبقات المتوسطة غير المحظوظة المتميزة بسهولة استشراء الفشل بداخلها وهو ناتج بدوره عن أنوميا أو لا معيارية الاختيار في صفوف الطلبة.»[14]

إن تاريخ الحركات الطلابية في عديد المجتمعات وقدرتها على التغيير وتحويل المسارات السياسية واضح وجلي من خلال تجارب عديدة قادها الشباب الطلابي داخل الجامعة بدءا بتظاهرات الطلبة في هنقاريا سنة 1956 و السودان 1964 وفرنسا 1968 ومصر في نفس السنة والولايات المتحدة الامريكية سنة 1970 و تايلاندا 1973 واليونان في نفس العام وجنوب افريقيا في سنة 1976 والصين 1989 واندونيسيا 1998 للإطاحة بالأنظمة الشمولية مثل نظام شارل ديغول في

---

[11]. Edgar Morin, «Pour une sociologie de la crise in *Communications*, N°12, 1968, pp.12-13.

[12]. Edgar Morin, 1968, *ibid*., p. 14.

[13]. Raymond Boudon, « La crise universitaire française : essai de diagnostic sociologique », in *Annales économies sociétés civilisations*, N°3, 1969, pp. 739-744.

[14]. Raymond Boudon, 1969, *ibid*., p. 761.

فرنسا والنظام العسكري في السودان وتايلاندا واليونان وانتقادا لنظام الفصل العنصري بجنوب افريقيا وهو ما دفع بإقرار عقوبات دولية للأنظمة الفصل العنصرية في العالم.

هكذا خلقت حركات الطلبة في الجامعة أزمة زعزعت النظام وغيرت ملمح الجامعة وتوجهات وبرامجها وهو ما يثبت مفهوم الحركة باعتبارها عنصرا موحّدا بين المجتمعات من خلال الأزمات والاختلالات الكبرى التي تحدث للمجتمع فاعتبارنا مثلا أن المجتمع التونسي في مرحلة تاريخية معينة أنتج حركة طلابية ملتحمة به بمكوناته الاجتماعية والسياسية هو تحول كبير في مسار حراكه وديناميكيته رغم البنية التقليدية لهذا المجتمع فلم تمنع بنيته من تحقيق التغيير على يد نخبة شبابية طلابية تمرست بالعمل السياسي والنقابي. فهذه الفئة ليست خارجة عن الفعل التاريخي إنها على العكس من ذلك شهدت تحولات مهمة وديناميكية تغيير خصوصية تنبع من أطره التقليدية ومن خصوصياته الثقافية والسياسية والنقابية إنّها محور التحولات الكبرى التي تتحقق تدريجيا لهذا المجتمع في القرن العشرين عبر خصوصيتها وبأسلوبها ووفقا لديناميكية متمايزة بدأت بفكّ الارتباط بالسلطة السياسية سواء سلطة الاستعمار الفرنسي أو سلطة النظام البورقيبي وما تلاه وبناء حركات مقاومة أو رافضة أو مناضلة من داخل المجتمع ومكوناته وهو فك تستخدم فيه عناصرها الثقافية والاجتماعية صعودا ونزولا في التراتبيات الاجتماعية وتوظيفا للرأسمال الاجتماعي وللمكانات وللأدوار عبر الأجيال المتعاقبة داخل حركاته فلا وجود لمجتمعات راكدة بطبعها أو محكومة بالثبات والمحافظة.

فالتغيّر الاجتماعي محمول ضمنيّا داخل النظام وكذلك داخل أوضاع الأزمات والفوضى فهو عنصر لازم للمجتمعات على أنّ تجارب التغيّر تختلف بلا شكّ باختلاف الفاعلين والأوضاع وإنّه لا يمكن تنميطها أو توقعها بشكل محدّد مسبّقا وهو ما يستوجب مخالفة الصور المنمّطة حول ركود المجتمعات وعدم انصهارها في حركة التاريخ. فالتحول والتغيير من خلال التعاطي مع السلطة هو ما أدخل اضطرابا على منظومة المجتمعات في تعاملها إزاء أوضاع التنظَّم والأزمات أو الفوضى حتى لا نستخدم عبارة الخراب والانهيار كما عبّر عنها ابن خلدون وهي المرافقة لسقوط الدولة.

إن الإمكانيات المتنوعة للتغيّر والحراك الاجتماعي والتاريخي عديدة، وتمثّل السلطة السياسية بفعلها التحديثي عنصر اضطراب وفوضى وأزمة تدفع بالمجتمع نحو المقاومة وتأصيل الكيان، وهو ما يدفعنا للبحث حول علاقة المجتمع التونسي بمنظومة التحديث بعدما أفرز حركات اجتماعية رافضة للمسقط السياسي ضمن مسار خصوصي لتجربة التغير الاجتماعي في المغرب العربي في الفترة الاستعمارية وفي فترة بناء الدول الوطنيّة وما وقع من حراك وحالات الصراع بين الفوضى والانتظام القائمة في الواقع اليوم.

تعتبر الحركات الطلابية في الجامعات رافدا لعملية التغيير وهي كيان غير متخارج عن المجتمع بل جزء لا يتجزأ منه ومن ظروفه ومن تاريخه غير منفصل عنه يمثله جيل يظهر في أحداث تاريخية معينة بمعنى كارل مانهايم يخلق هذا الجيل تحولا كبيرا داخله، ونظرا لطول فترة الدراسة واختلاف تكوين الطلبة التعليمي والايديولوجي والثقافي ونظرا للظرفية التي عاصروها ليس بالإمكان دراسة هذه الحشود العددية الكبيرة و المهمة على امتداد 65 سنة منذ تأسيس المنظمة الطلابية «الاتحاد العام لطلبة تونس» سنة 1952 بصفته ذراعا نقابيا و كتلة ومجموعة متجانسة، تستوجب دراستها المرور بالأجيال التي تولدت عنها أو وحداتها الجيلية بمعناها المادي والمعنوي.

ويعرّف الجيل بأنّه «المجموعة التي تشترك في جملة من المعطيات لعل أبرزها المناخ الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي عاشت فيه بمختلف تفاعلاته وتأثيراته»[15]، فبالنسبة إلينا الجيل هو مجموعة الطلبة التي ولدت في نفس الفترة تقريبا وتلقت التعليم بالجامعة وخضعت لتركيبة ذهنية واجتماعية متشابهة مع اختلافات طفيفة، ومناخ سياسي أو ثقافي بمختلف أحداثه وتطوراته تأثرت به وأثرت فيه من قريب أو من بعيد بدرجات متفاوتة فنشأت بين أفراده لحمة وروابط لا يمكن أن تنفصل تدعمت في الجامعة أو في المبيتات أو خلال العطل المدرسية.. أي أن الجيل حامل لثقافة خصوصية تعاش ولا تنتقل ويمكن أن تتوارث و تكون من صنع أبناء الجيل الواحد. إن الواقع المعيش والتكوين الفكري والعقليات والنظرة إلى الواقع والتفاعل معه تخلق الفارق من جيل لآخر ويحدث ما يعرف بصراع الأجيال الذي ينعكس على الساحة السياسية والثقافية للمجتمع.

ولم تكن أجيال الطلبة التونسيين بمعزل عن هذا الصراع فنظرة كل جيل إلى الواقع يمكن أن تشترك او تختلف في عديد الأشياء بحكم الفوارق المهمة في التكوين والمناخ الذي نشأ فيه كل جيل من هذه الأجيال ويتجسم هذا الصراع من خلال الانشقاقات التي تحدث على الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية ومن خلال تطور مواقف الطلبة من عديد المسائل السياسية و النقابية، وهي مجموعات عمرية في سن متقارب تشترك في خصائص معينة وتعاصر أحداثا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو مؤسساتية مشتركة تشكل وعيها بطريقة معينة مختلفة عن الأجيال السابقة والأجيال اللاحقة يدرك فيها الفرد دوره ومكانته في مرحلة نضج معينة تؤسس ما يسمى بالوعي الجيلي وعادة ما تتأثر الفئة العمرية بين 14 و25 سنة وتؤثر في هذه الأحداث وتخلق ما يعرف بالجيل السياسي.

تكون هذه الفئة العمرية خالية من الالتزامات الأسرية والاجتماعية ولديها نظرة تفحص وتساؤل تجاه المجتمع وتجاه السلطة القائمة في لحظة تاريخية معينة فيأخذ رفض هذه الفئة نقاء ثوري مثالي يشكل وعي لواقع المجتمع ولمكوناته السياسية وتساهم عديد العوامل التي تجعل الطلبة يشاركون في حركة المجتمع و تتحدد عادة بوسائل التنشئة ورؤيتهم للعالم منها الوعي الجيلي وهو مستوى المعارف والمعلومات التي تتشكل أيضا الطبيعة البيئية الحاضنة للتغيير ويختلف هذا التغيير حسب التنوع الايديولوجي أو يكون أحيانا عابرا للأيديولوجيات فتكون هذه الفئة العمرية متجاوزة للتنظيم الصارم من الشكل التقليدي للتنظيم لتخضع لتنظيم شبكي وحراكي مختلف ويسعى إلى تحقيق الهدف. وعند تحقيق الهدف أو في حالة إسقاط الهدف تبدأ في التحول وتبحث لنفسها عن تنظيم جديد تتخذه إطارا جديدا أو تثبت على تنظيمها الأول. وبناء عليه تعد الحركة الطلابية حركة جماهيرية تنقل رغبات المجتمع وحسه في لحظة تاريخية معينة فهي تمثل هذا المجتمع و عادة ما تكون شبابية يتزعمها الطلبة داخل الأطر الجامعية، فكيف نشأت الحركة الطلابية في تونس ؟ما مقومات نشاطها أو أسباب فشلها في تحقيق أهدافها المنشودة ؟ و فيم تتمثل ظروف نشأة الحركة الطلابية في تونس وسياقات التحول ؟

ارهاصات البروز التاريخي والاجتماعي التنظيمي للاتحاد العام لطلبة تونس : المغيبون الاكثر حضورا

---

[15]. عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية طلبة الجامعات الفرنسية 1956/1880، سوسة، دار الميزان للنشر، 2006، ص. 104.

ان المتتبع لطبيعة الأزمات السياسية التي عاشها المجتمع التونسي بمكوناته السياسية يلتزم ضرورة بالعودة إلى السياقات المجتمعية التي ولدتها. ففي مسارات تحول المجتمع التونسي لم يول المضمون الاجتماعي اهتماما وكانت الاولوية دائما للمضامين السياسية فاثّر هذا في الخيارات الكبرى لمكونات المجتمع المدني من أحزاب ومنظمات وجمعيات واتحادات كما صبغ كل هذا بجملة الرهانات السياسية التي كانت تغفل دائما عن البعد الاجتماعي وتؤجله لفترة لاحقة، ففي فترة الاستعمار الفرنسي دُفعت كل المكونات المجتمعية لتكريس مطالبها للتحرر من المستعمر وامتدت نضالاتها تقريبا أكثر من ربع قرن على هذه الشاكلة لتجميع كل القوى ضمن منحى سياسي وحيد ومتفرد وكانت أغلب بنود اللوائح السياسية والنقابية والجمعياتية متجسدة في الدفاع عن القضية التونسية في مهامها الأولى ومساندة الشعوب للخروج من الاستعمار وتقرير مصيرها.

و لم تكن الخلايا الطلابية في حركتها بمعزل عن حركة المجتمع بل كانت جزءا لا يتجزأ من المطالب المجتمعية منخرطة في مشاغله وهمومه تحت غطاء نقابي طلابي، هذا السياق الذي مر به المجتمع التونسي خلق تمازجا بين الملمحين النقابي والسياسي بما أن العمل النقابي استثمر ووظف ذراعا أساسيا للعمل السياسي داخل الأطر التنظيمية جراء التضييق على الحزب الحر الدستوري الجديد آنذاك والحزب الشيوعي التونسي في الدفاع عن مطالبهم السياسية فانتفت بالضرورة استقلالية العمل النقابي خدمة لكل ما هو وطني في تلك الفترة ولتحقيق تحولات سياسية في صالح المجتمع التونسي.

سبق هذا نشاط مكثف تبناه الشباب التونسي في هذه الفترة من خلال «حزب الشباب التونسي الذي أسسه علي باش حانمبة وجريدته التونسي في نشرة عربية وأخرى فرنسية للدفاع عن الحقوق السياسية للتونسيين [16] والذي عبر عن كون هذه الفئة جزء غير منفصل عن المجتمع محملة بأفكاره وهمومه ومشاغله وقضاياه ورافقت هذه الفترة» حركة للطلبة الزيتونيين الذين انخرطوا في النشاط الثقافي والسياسي»[17] بدورهم، كما تأثر الطلبة الشباب بمبادرات عديد الزعماء المغاربة خاصة الموجه إلى الطلبة التونسيين الذين يدرسون في الجامعات الفرنسية. فالمتتبع لتاريخ التنظيمات الطلابية المغاربية، يلاحظ أنها كانت صاحبة المبادرة في النضال من أجل المغرب العربي، وكان مطلبا أساسيا في مقدمة برامجها النقابية داخل الوطن وخارجه، فظهرت عدة تنظيمات طلابية، «كانت أهمها حركة طلاب المغرب العربي التي تأسست في فرنسا وكانت من أنشط المنظمات خلال الثلاثينات، نشط فيها تونسيون وأسست ايضا سنة 1927 جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا... و تلك المحاولات التي قام بها الشباب الجزائري و التونسي كانت من أجل إنشاء جبهة تحرير

[16].الحبيب بولعراس، تاريخ تونس، ترجمة الصادق بن مهي، تونس، منشورات السراس،2015، ص. 538.

[17].يمكن العودة إلى مقال : مختار العياشي، «ظرفية تأسيس الاتحاد العام لطلبة تونس في بداية الخمسينات»، في مجلة روافد، عدد 7، ضمن، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، 2003، ص ص. 177-257.

سياسية واحدة في المغرب العربي ... كما استطاع طلبة المغرب العربي أن يجتمعوا في مقرها الرئيسي بباريس مع كل من الأمير شكيب ارسلان والحبيب بورقيبة و الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد..[18].

ان الحركة الطلابية الشبابية هي متنفس مجتمعي وسياسي يسوق الأفكار والقضايا عبر أطر تنظيمية مغايرة تجعل المعارضين في انفلات غير مضبوط من السلطات السياسية الرسمية فتعد «هذه الحركات الشبابية هي الديناميكية التي تغذي التواصل التاريخي»[19] بين الأجيال التي تتعاقب والتي تعاصر الأحداث التاريخية الكبرى التي تترك آثارا عميقة وجسيمة في مصائر المجتمعات وتشكل فاتحة بروز فاعلين جدد ضمن ديناميكية مستمرة تخلق إمكانات الوجود والوقائع ضمن مشهد اجتماعي مغاير ورافض فتبنى مساحات تفكير وفعل جديدة للتعبير وتتشكل ثقافة جديدة بمفرداتها وتراكيبها بمنطقها وشبكاتها الدلالية بفاعليها في حقولهم وساحات فعلهم ونشاطاتهم وهي حاجة اجتماعية لقدرتهم على قراءة واقعهم وخلقه من جديد وتركيبه وبنائه وتغييره وهي فوارق نوعية مهمة خلقت «نماذج المنظر العقائدي والقائد الطلائعي والمناضل الثوري في ما تلاها من نماذج تقليدية ووقع التخلي عنها من مرشد ديني أو أمير جهادي أو وكيل شرعي»[20].
لقد بدأت الحركة الطلابية في تونس مع انطلاقة التحركات التلمذية» من جامع الزيتونة منذ سنة 1910..كما شهد المعهد الصادقي ومعاهد أخرى تحركات تلمذية مؤيدة لأهم الأحداث الوطنية...وواصل الطلبة الزيتونيون نضالهم من أجل تكوين عصري يؤهلهم اجتماعيا واقتصاديا ضمن معطيات النظام الاداري والاقتصادي الفرنسي إلى حدود أن تم توحيد نظام التكوين ودمج مؤسساته ضمن مؤسسات التعليم العمومي»[21]. كما كان الكثيرون منهم «رسل الحزب يحرضون ويخطبون للتظاهر في الشوارع»[22]. «بدأ النشاط بالأشكال النضالية التقليدية السلمية مثل الإضراب»[23]، و كان النضال أيضا بالاحتجاج عبر وسائل الإعلام والكتابة في الصحف، و منذ سنة 1951 بدأ العمل على توحيد الصف الطلابي الشبابي من قبل طلاب درسوا في الجامعات الفرنسية وبدعم من الأحزاب السياسة آنذاك والمنظمات النقابية UGTT و USTT و المنظمات والجمعيات النسائية وجمعيات أولياء التلاميذ فتأسست بداية لجان تدافع عن التلامذة المرفوتين ومكلفة بتنظيم صفوف الشباب لتوحيد تحركاتهم والدفاع عن المثقفين والنخبة في تونس خاصة في ظل اقتناع الأحزاب السياسية

---

[18].حميدةالدريدي، الجزائر والتضامن المغاربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر السنة الدراسية 2013/2012 تحت اشراف الأستاذ ميسوم بلقاسم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قطب شتمة، 2013، ص. 51.

[19].مختار العياشي، 2002، مرجع ذكر سابقا، ص. 84.

[20].علي حرب، «من نموذج المناضل إلى نموذج الناشط»، في كتاب ثورات القوى الناعمة في العالم العربي من المنظومة إلى الشبكة، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص. 226.

[21]. مختار العياشي،2002، مرجع ذكر سابقا، ص. 84.

[22].حامد الزغل، «مساهمة اتحاد الطلبة في المعركة الحاسمة «، في مجلة روافد عدد 7، منوبة، ضمن منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، 2002، ص. 104.

[23].الإضراب الأول يوم 20 افريل 1950، الإضراب الثاني يوم 10 مارس 1951 شمل 8 معاهد و775 تلميذا تراوحت عقوبتهم بين الطرد والرفت والتوبيخ واستدعاء الولي، يمكن مراجعة مقال مختار العياشي، مرجع ذكر سابقا.

في تلك الفترة بمحدودية التفاوض وتراجع قدرتها على تشغيل آليات التعبئة خاصة في مستوى الحركات الشبابية التي كانت حركاتها تتركز في مستوى المعاهد والمدارس.هكذا راكمت مجموعة من العوامل بروز هذه المنظمة النقابية ذراعا فتيا متكونا من الطلبة الشباب للحركة في الجامعات والمعاهد التونسية وتتمثل إجمالا من خلال السياق الذي أوردناه في النقاط التالية بشكل أساسي «السياسة التعليمية الفرنسية ونمو الوعي الوطني والسياسي، مثلا تكوين الطلبة لـ«حركة الشباب التونسي» ومشاركة الشباب التونسي في الحرب العالمية الأولى والاحتفال بمرور نصف قرن من الاحتلال الفرنسي في تونس و تزايد عدد الطلبة التونسيين في الجامعات الفرنسية و تكون نخبة تونسية مثقفة و بروز الفكر الوحدوي بين الشباب و دعوات إصلاح مؤسسات التعليم و سياسة التهميش ضد الطلبة المغاربة في المهجر وصعوبة ظروفهم المادية و تأسيس حزب شبابي «نجم شمال افريقيا»، تأسست مجموعة من الجمعيات منها «جمعية الشبان المسلمين» والمتكونة من الطلبة وجمعية الشبيبة المدرسية والمجمع العلمي التونسي وجمعية الشبيبة التونسية، منظمة صوت الطالب التونسي، جمعية شبيبة شمال افريقيا الموحدة داخل تونس أما خارج تونس : فهي جمعية الطلبة التونسيين بباريس، اتحاد طلبة تونس، جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين والقيام بالاستعراضات الكبيرة في الشوارع تعبيرا عن مواقف سياسية مثلما حصل عندما توفي الرئيس الأمريكي سنة 1945 يتقدمه 400 طالبا بحمل العلم التونسي ورفع الشعارات السياسية»[24].

وفي فترة اعتقل فيها الزعماء السياسيين تم تداول النقاشات فطرحت مسألة إنشاء إتحاد يدافع عن الطلبة ومصالحهم بعدما قتلت السلطة الفرنسية الكثير منهم واعتقلتهم وحاكمتهم[25]، بعد انخراطهم في العمل السياسي الوطني من خلال الاضراب عن الدراسة و الاضراب العام و اضراب الجوع و وقفات احتجاجية طلابية وتظاهر في الشوارع واجتماعات عامة، وكتابة اللوائح والبرقيات فتمت معاقبتهم في الطرد من مقاعد التعليم و من المبيتات، ومحاكمة «96 تلميذ اسنة 1952 بين 3 أشهر و 15 يوما مع دفع خطية مالية تصل إلى 20 الف فرنك فرنسي»[26]، كما شهدت فترة الخمسينات فترة تعبئة مدرسية مهمة جدا و تأطير من خلال محاضرات نظمها الزعماء الوطنيون حرصا على بعث منظمة تلمذية وطلابية لدعم حركة التحرر و شحن الشارع ملتحمة بقضايا المجتمع ومطلبه في التحرر من المستعمر، تدعم كل هذا بمجهودات مهمة من طرف الشبيبة الطلابية في تلك الفترة بالتزاماتها بقضايا المجتمع من خلال النشر والكتابة في صحيفة المزعج وصحيفة الدبوس والثمرة والنشرة السنوية لجمعية طلبة شمال افريقيا وجريدة الهلال و جريدة Tunisétudiant قبل الاستقلال، ف«انتقل العمل النضالي السياسي والنقابي عند الشباب المثقف داخل الجامعات من العفوي وشبه العفوي إلى المنظم كما تغير التأطير من التقليدي إلى العصري وهو ما فرض إعادة تنظيم وتعبئة نشاطاتهم وطرق عملهم ووسائله بشكل عام فهيأت

---

[24].يمكن العودة هنا إلى بحث سعدية مراد : الحركة الطلابية المغاربية ودورها في الكفاح الوطني 1900/ 1950 الجزائر-تونس دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تحت اشرف الأستاذ عثمان زقب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الوادي، السنة الدراسية 2013-2014، 2014.

[25].محمد ضيف الله، «التحركات التلمذية وظهور الاتحاد العام للطلبة التونسيين من خلال جريدة الصباح جانفي -جوان 1952»، في مجلة روافد عدد 20 سنة 2015، ضمن منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2015، ص. 44.

[26].محمد ضيف الله،2015، نفس المرجع، ص. 51.

هذه الظرفية الساحة الشبابية و التلمذية لبروز الاتحاد العام لطلبة تونس[27]،فمع مطلع الخمسينيات سعى الطلبة لإيجاد إطار يجمع عملهم السياسي والاجتماع ويذلك بتأسيس منظمات طلابية كانت في تونس تحت مسمى الاتحاد العام للطلاب التونسيين سمي فيما بعد بالاتحاد العام لطلبة تونس.

وتواصل النضال النقابي الشبابي من خلال نفس الأدوات النضالية وبدور طلائعي من خلال بعض النشريات التي تعبر عن هواجسهم منها نشرية ابن خلدون و jeunesse و al-ittihad و الطالب الدستوري و perspectives والطالب التونسي في الفترة الأولى لتأسيس الاتحاد والذي هدف إلى توحيد ممارسات كل الطلبة من أجل الدفاع عن مصالحهم المادية و المعنوية على أرضية الحركة الطلابية التي يعتبرها الشباب الطلابي النقابي أنها جزء لا يتجزّأ من الحركة الشعبية و مساندة لقضايا التحرر في العالم وعلى رأسها القضية الفلسطينية كما تسعى لنشر ثقافة بديلة قوامها الدفاع عن قيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية و تنشئة الطالب على اكتساب حق المواطنة، احترامه و الذود عنه و الدفاع عن حرية النشاط النقابي و السياسي داخل الجامعة وخارجها و مناهضة الامبريالية والصهيونية والرجعيات العربية حسب القانون الاساسي للمنظمة وتعريفها كما جاء في فصلها الأول من هذا القانون بأنها منظمة نقابية مستقلة في قراراتها ديمقراطية في هياكلها تستمد قراراتها من القواعد الطلابية المنخرطة في صلبها.

وفي فترة الستينات اتسمت صورة المجتمع التونسي في الظاهر بملمح توافقي متوحد تغيب فيه المعارضة وتلتحم فيه كل المكونات والقوى المجتمعية لكن في حقيقة الأمر دفعت استراتيجيات رئيس النظام السياسي آنذاك إلى أتباع استراتيجيات للقضاء على الخصوم السياسيين سواء من خلال المحاكمات أو الإعدامات أو النفي أو الاحتواء وهو ما افرز مجموعات مهيكلة وأخرى غير مهيكلة منها السياسية ومنها النقابية ومنها المعلنة ومنها السرية كخلايا أولى للمعارضة[28]، خاصة بعد الصراع اليوسفي البورقيبي ومحاكمة اليوسفيين في قضية النجار[29] والإعدامات التي طالت التونسيين الآملين في واقع أفضل من الاستعمار الفرنسي ومع حل الحزب الشيوعي التونسي من قبل النظام السياسي إضافة إلى سعيه إلى تكوين رأسمالية وطنية برزت الحركة الطلابية من خلال منشورات متعددة منها الصحف السرية و الصحف الحائطية المشحونة بمحتويات سياسة وأخرى علنية «كانت موجهة للطلبة وتهتم بمشاغلهم واهتماماتهم وتعكس آراءهم ومواقفهم»[30] في ظل

---

[27].يمكن العودة إلى المقال التالي : مختار العياشي، مرجع ذكر سابقا، 2002، ص ص. 84-85-86.

[28].مجموعات مهكيلة مجموعة لزهر الشرايطي ومجموعات غير مهيكلة مجموعة برسبكتيف.

[29].قضية النجّار هي قضية مجموعة من اليوسفيين ما بين 24 نوفمبر و23 ديسمبر 1958 بتهمة التآمر على أمن الدولة الداخلي والخارجي أصدرت فيها لائحة حكم ل56 متهم كونها مجموعة من اليوسفيين المنتمين للجنة المقاومة العليا أصيلي جزيرة جربة من عائلة النجّار منهم صالح بن حمدان بن قاسم النجار وعبد السلام بن سالم النجار و جمعة بن حمدان بن قاسم النجار وعثمان بن علي بن الحاج رحومة النجار واحمد بن مسعود بن سليمان النجار بمساعدة مجموعة من المقاومين اليوسفيين في جرجيس وبن قردان والذين قاموا بعدة مهام منها تهريب السلاح والذخيرة إلى اليوسفيين بتونس العاصمة إضافة إلى مجموعة من المناشير بأمر من الزعيم صالح بن يوسف أصيل جزيرة جربة استعدادا للمواجهة مع الحبيب بورقيبة ولدعم تنظيم الطالب العربي ذي التوجه القومي التحريري الموجود في تونس والجزائر. في هذه القضية عدنا الى كتاب أصدرته كتابة الدولة للشؤون الخارجية سنة 1958 ص ص. 217-236 وإلى كتاب جماعي بإشراف عميرة علية الصغير : المحاكمات السياسية في تونس 1956-2011، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس، 2014، ص ص. 94-110.

[30].محمد ضيف الله، 2014، «الصحافة الطلابية التونسية «، في مجلة روافد عدد 19، منوبة، ص. 159.

ذلك الواقع المتأزم فكانت تعبر عن مشاغل المجتمع. زد على ذلك أنها لم تتخل عن تقاليد العمل السياسي داخل الجامعة فلم يكن متنفس الأحزاب المحظورة في تونس سوى في الجامعة فتهيكلت مجموعات بدأت بمجوعة برسبكتيفPerspective لها نشرية ونشاطات داخل اسوار الجامعة صدر عددها الأول في اكتوبر 1963.[31] وهي صحيفة معارضة للنظام السياسي، كما نشرت 24 دورية طلابية في هذه الفترة قد خرجت غالبيتها عن طابعها النقابي «فرفعت مطالب اصلاحية وكانت لها نظرتها الخاصة للقضايا الوطنية»[32] بعد تمرس بأشكال الضغط والاحتجاج.[33] بعدما كانت المنظمة تحت غطاء السلطة السياسية التي التحمت معها من أجل الاستقلال والتي مثلت رافدا لمخرجات الجامعة من إطارات تنهض بالمؤسسات التونسية فمثلت هذه المنظمة العمود الأساسي للحركة الطلابية ومنبرا للتدرب على الخطاب السياسي برزت فيه إطارات جديدة للحكومة الفتية.

حركة اجتماعية أم مجموعة ضغط ؟

عند عودتنا لتحليل أدبيات الحركة الطلابية في تونس من خلال منظمة الاتحاد العام لطلبة تونس وجدنا بعض الفوارق النوعية من خلال قراءتنا السوسيولوجية لمسارها ومن خلال كل الأزمات التي خاضتها سواء مع السلطة السياسية في تونس أو داخل منظمتها النقابية وهو يدفعنا للحديث بتأكيد الفكرة التالية أن الاتحاد العام لطلبة تونس هو مجوعة ضغط ضمن حركة طلابية مجتمعية فئتها الطلبة والنخب الجامعية في تونس. بما أنها «تحدد نفسها بوصفها منظمة تتشكل للدفاع عن مصالح فئة معينة للضغط على السلطات العامة للحصول على قرارات تقابل هذه المصالح فيتطلب هذا اجتماع ثلاثة عناصر : وجود جماعة منظمة، الدفاع عن المصالح وممارسة الضغط».[34] تعرف جماعة الضغط لأنها تستخدم الضغط وسيلة لحمل رجال السياسة على اتخاذ قرارات لصالحها وهو عامل مهم و مؤثر في كل من السياسة الداخلية و الخارجية للدولة، ويمثل الطلبة في الاتحاد داخل الجامعة التونسية عنصر ضغط على الأنظمة السياسية فما لا تستطيع الأحزاب فعله أو قوله يمرر عبر قنوات الجامعة وعبر المنابر الطلابية واستنادا إلى قوة ضغط شبابية باعتبارها قوة سياسية ونقابية قادرة على التعبئة ضد توجهات اقتصادية وثقافية وسياسية وتعليمية معينة وتمثل أيضا مجموعات عمل سرية موجهة من خلال لجان عمل تتحرك وتنشط فيها تتشكل في شكل حشود خارج الجامعة.

وبالتالي يمكننا القول أن الاتحاد العام لطلبة تونس هو كيان رسمي يمكن للحركة الطلابية أن تخوض من خلاله انتخابات تسيطر فيها في ظل نظام سياسي معين فيجعل للحركة مشروعية الخوض في كل الهواجس الطلابية و المجتمعية والسياسية

---

[31].راجع محمد ضيف الله، 2014، نفس المرجع، ص ص. 159- 161.

[32].محمد ضيف الله، 2014، نفس المرجع، ص. 175.

[33].انظر : مختار العياشي،2014، مرجع ذكر سابقا، ص. 90.

[34]. Roger Gérard Schwartzenberg, *Sociologie politique*, Paris, Edition Montchrestien, 1998, p. 540.

وليكون العمل السياسي دائما في سياق المجتمع التونسي حاضنة العمل النقابي داخل الحركة الطلابية، فهي بنت مجتمعها تتأثر بالأفكار والتيارات الفكرية والسياسية داخله ولا تنشأ من تلقاء نفسها داخل الجامعة بل هي امتداد لحركات سياسية واجتماعية خارج الجامعة.

فالطالب عندما ينشر فكرة سياسية فهو ضمن مشروع متكامل في المجتمع يتبناه ويدافع عنه فيصبح العمل النقابي داخل الجامعة مسيسا ويكمل مشروع سياسي خارج الجامعة ويكون ذراعا أساسيا له، علاقة التكامل هذه تكمّل وليست في تبعية كاملة فكل الأطراف السياسية ممثلة لكن الكلمة الحاسمة تكون للاتحاد فهو في علاقة جدلية مع العمل السياسي خارج الجامعة يؤثر ويتأثر ويشارك في القرار ويمكن أن يوجه حتى النقد ويخرج عن حاضنته وهنا يتأرجح صراع النضال النقابي الشبابي في تونس بين فكرة الاستقلالية وفكرة مشروعية الوجود وهو ما يخلق انشقاقات كبيرة بين عديد الأطراف داخل الاتحاد وهو ما ترجم أيضا الأزمات التي هزت الاتحاد العام لطلبة تونس بدأت بخوض المنظمة معركة الاستقلال من النظام السياسي بعد تنصيب القيادة الدستورية من قبل السلطة السياسية وبروز حركة 5 فيفري 1972 بعد معركة طويلة مع السلطة متبنيا مبدأ الاستقلالية وعدم تبعية المنظمة متأثرة بهواجس النخب السياسية المعارضة الناشئة والتي نتج عنها ضرب هذه المنظمة النقابية وبروز كتلة الهياكل النقابية المؤقتة[35] طيلة فترة تجميد عملها النقابي من قبل السلطة السياسية تلا ذلك أزمات سياسية كبرى لانحياز المنظمة للفئات الكادحة ومشاركتها في معارك كبرى مع السلطة السياسية منها الأحداث العمالية في 1978 ثم أحداث الخبز 1984.

سبق ذلك انخراط مناضليها في الأحزاب السياسية المعارضة ومحاكمتهم وتجنيدهم قسرا عقابا لهم لانحيازهم مع قضايا المجتمع ودفاعا عنها وهو ما جعلها تترنح بين أزمة الاستقلالية وأزمة التمثيلية في صراعها مع السلطة السياسية،» عندما أرادت السلطة أن تضع يدها عليه وتحملت هذه الحركات اعتقالات الطلبة ومحاكمتهم وتجنيدهم القسري في جزيرة زمرة وزمبريتا[36] وفي محتشد رجيم معتوق عقابا لهم لمساعيهم في تغيير الواقع التونسي وتحملهم مسؤولية الدفاع عن هموم المجتمع التونسي»[37]، فتحاول السلطة ألاّ تهتم بمشاغل الحركة الطلابية و تتدخل من خلال أدواتها مثل القمع والاعتقال والاختراق والتدجين والطرد من الجامعة والقتل والتعذيب والمحاكمات السياسية لتجعل من الحركة طيعة منصاعة لتوجهاتها وتحرم الطالب الناشط والمناضل من فرصة الدراسة والتشغيل، فتحكم علاقة الحركة الطلابية بالسلطة عدة مستويات تكون دائما حسب طبيعة العمل السياسي داخل الجامعة، المستوى الأول هو بقدر اقتراب السلطة من العمل السياسي داخل الجامعة والخطوط الحمراء فتتوتر العلاقة والمستوى الثاني أن السلطة تنظر إلى الطلبة أنهم جزء من

---

[35]. نشط فيها الطلبة الذين أفتكت منهم الشرعية النقابية من قبل السلطة السياسية أطلق عليها إسم الهياكل النقابية المؤقتة.

[36].أرخبيل يتكون من 4 جزر تقع في عرض خليج تونس مقابل ساحل شمال غربي الوطن القبلي على ضفاف المضيق الصقلي التونسي وقع فيها تجنيد الطلبة الناشطين بالعمل النقابي المنتمين للاتحاد العام لطلبة تونس عقابا على نشاطهم النقابي والسياسي من قبل السلطة السياسية في تونس

[37]. المبحوث (ا، ب) باحث في الآثار نشط بتنظيم الطلبة العرب والاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام لطلبة تونس وينشط الآن كمدون وهو متزوج ومن جهة سيدي بوزيد.

المشكل وليس جزءا من الحل وهو ما يشكل حركة طلابية معارضة بذراعها النقابي «الاتحاد العام لطلبة تونس» لأنها عاجزة عن تلبية احتياجاتهم من جامعات وتعليم وسكن وتشغيل وهو يعكس سوء آداء السلطة في ظل الأنظمة الشمولية وهذا ما يخلق وعيا وإدراكا داخل الجسم الطلابي بحقوقه واحتياجاته وأنه يمثل الحل وليس المشكل ويؤكد على وجوده وأنه يمكن أن يستثير طاقاته ليقدم للمجتمع دفعات قوية إلى الأمام.

فتطمح الحركة الطلابية التونسية دائما، من خلال ضغطها على السلطة بذراعها النقابي إلى أقصى المطالب لتحقق أدناها من خلال قوة شبابية ملتزمة بقضايا المجتمع لأن هذه الفئة تكون عادة خالية من الالتزامات الاجتماعية وتكون مهمشة في عملية الإنتاج فلا يبقى لها إلا أن تتفاعل يوميا مع الأفكار والقيم والمثل و إلى اليوتوبيا والقيم العليا فتسعى السلطة السياسية إلى عزل الحركة لكي لا يكون لها دور فاعل في المجتمع بخلق الانشقاقات داخلها أو إحداث منظمة موازية لها أو اختراق قواعدها ومناضليها أو سجنهم وبرز ذلك من خلال المحاكمات السياسية المتعددة في تاريخ تونس المعاصر لأنها تعلم أن أنشط الفئات وأقدرها على التغيير هي فئة الطلبة الشباب على وجه التحديد والذين تتفاوت أدوارهم من مجتمع لآخر بحكم مكونات السلطة ونمطها وهوامش الحركة والحريات التي تتيحها أمام مختلف الفئات الاجتماعية، وهو ما يستدعينا إلى العودة لتاريخ المنظمة قليلا لوجود محطات يصعب تجاهلها.

هذه الحركة الطلابية هي معطى نوعي تمثل مجوعة الطلبة التي تنظم نفسها في شكل فصائل نقابية وسياسية من ناحية تحمل بعدا إيديولوجيا حينا وبعدا ما فوق أيديولوجي حينا آخر كما بين ذلك آلان توران عندما تحدث عن وحدة الحركة من الداخل في اتجاه الخارج في وقت تشتتها من الداخل وانقسامها إلى أطراف وفصائل عديدة فعندما تتوحد كل الفصائل من الداخل تعطي الزخم المطلوب أي تكون كل الألوان السياسية والنقابية فيها موجهة إلى مواجهة الاستبداد والأنظمة و يمكن أن تكتسب نوعا من المرونة وتتحرك في إطار عابر للأيديولوجيا فتكون الحركة الطلابية عابرة وشاملة وعامة.

ف»الحركة الطلابية في تونس تتحرك دائما بأذرع سياسية هذه الأذرع أشمل من الاتحاد لأنها ممثلة لتيارات فكرية وسياسية كبيرة داخل المجتمع التونسي»[38]. الحركة الطلابية تسعى لمعالجة قضايا الطلبة ورفع الطالب من مستوى التفكير بالقضايا الشخصية إلى التفكير في قضايا الوطن والأمة والإنسان حامل لهموم مجتمع منحاز إلى الجانب القيمي والمواقف المناصرة لقضايا مجتمعه والنضال الشبابي الطلابي داخل الجامعة يكون ب»العمل الذي يحوي أبعادا داخل أطر الجامعة وداخل المنظمة الطلابية منها البعد المطلبي : مشاكل الطلبة المشروعة والبعد الثقافي والبعد الفكري والبعد السياسي»[39]. فهناك رؤية وتصور في بناء الحركة الطلابية النقابية وفي طرح البرامج والرؤى. و الحركة الطلابية هي منبر علم ومعرفة تدافع عن الفكر الحر والمعرفة النقدية والعقلانية والمواكبة لتطورات الواقع وتعقيداته في أدق تفاصيله. كما يعتبر الطلبة شريحة اجتماعية، منحازة من خلال النشاط تحت غطائها للفئات الاجتماعية المضطهدة وتساند المجتمع في تقرير مصيره

---

[38]. المبحوث (ا، ب) باحث في الآثار نشط بتنظيم الطلبة العرب والاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام لطلبة تونس وينشط الآن كمدون وهو متزوج ومن جهة سيدي بوزيد.

[39]. المبحوث(ن، ز) طالب ماجستير بالمدرسة العليا للعلوم والتقنيات بتونس و عضو مكتب تنفيذي لمؤتمر «من أجل رد الاعتبار للحركة الطلابية «2013 (طرف السياسي حركة جيل جديد) وعضو اللجنة الوطنية الاتحاد العام لطلبة تونس وهو أعزب.

وبالتالي يعتبر الطلبة عدوهم السلطة والأنظمة الاستبدادية وكل البرامج الموغلة في الليبرالية والتوجهات السياسية والاقتصادية التي تحتقر الانسان وثقافة الشعب والاتحاد له هوية وخط وحشود طلابية مثقفة ونخبوية تعتبر نفسها طلائعية للارتقاء بطموحات الحركة من خلال هذا الذراع النقابي.

ازمات ذات رأسين : معركة الاستقلالية وتمثيلية الاتحاد العام لطلبة تونس

من خلال ما سبق ذكره ومن خلال الدور الكبير الذي قامت به الحركة الطلابية في إطار منظمتها النقابية الاتحاد العام لطلبة تونس من دفع لمسارات التغيير والحراك الاجتماعي بعد تبنيها لكل قضايا الفئات المجتمعية وبعد تمرسها على العمل النقابي والسياسي منذ الفترة الاستعمارية إلى اليوم، واستنادا إلى ذاكرة السلطة التي تأرجحت بين الإبعاد والاحتفاء بالعمل النضالي من خلال المحاكمات السياسية، نجح العمل النقابي عبر الأجيال في تمرير الثقافة النضالية النقابية والسياسية داخل أسوار الجامعة وبنائها فثبتت بعض مكوناتها وتحولت مكونات أخرى.

ارهاصات الأزمة بعد انحياز المنظمة للشق المعارض للسلطة السياسية في تونس.

سنقوم بتحليل مسارات اتحاد الطلبة من خلال الصدامات الكبرى والصراع مع السلطة بعد الاضطلاع بمهمة التحرك في الشارع ودفع الفئات الاجتماعية وتأطيرها لانتزاع حقوقها ومطالبها وبعد تشكيكها في أزمة التشريع في النظام التونسي، مطالبا باستقلالية المنظمة، وتتمثل أزمة التشريع من منظور يورغن هابرماس في سياق نظريته الواسعة لتطور التاريخ في أنها المحرك الأساسي للتاريخ في المراحل الأولى من الرأسمالية الليبرالية «فهي محرك للأسواق التنافسية التي نتجت عنها هذه الأزمات وشحنت صراع الطبقات في سنوات السبعينات فكانت معدلات النمو مرتفعة ومعدلات البطالة منخفضة»[40]، فيرى أن الجدال بين الاقتصادي والسياسي يضع ضغط التشريع على الجانب السياسي ذلك أن المطالبة بتدخل الدولة وإعادة التوزيع يستمر في الظهور باستمرار وبالتالي لم تعد هناك أزمات اقتصادية بل سياسية تدفع قوى «الرأسمالية المتأخرة «،» لأن السياسة أصبحت شأنا براغماتيا إلى حد كبير، و أن مخزون الانتماء التقليدي او الديني والشرعية تآكلت بواسطة عامل القوة الرأسمالية حيث لا يشعر السواد الأعظم من الجماهير بالانتماء الحقيقي إلى النظام السياسي كما أصبح بالفعل معزولا عنها إذ لم تلبّ التوقعات»[41].

فهذه الفكرة تشير إلى محنة عامة للمجتمعات المعقدة أي «التوتر بين الإدارة ذات الكفاءة من جهة (التي تطالب بالتخصص والمعرفة ذات الخبرة...) والحاجة إلى التوجيه والهوية وراء الأنظمة التكنوقراطية من جهة اخرى»[42] بمعنى آخر لا يمكن أن يكون نتاج الشرعية أو مخرجاتها محل التعريف الإيجابي للمخاطبين و أصحاب القرارات من خلال القيم التي

---

[40].انابيل موني و بيتشيايفانز، العولمة، ترجمة آسيا دسوقي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص. 40.

[41]. انابيل موني و بيتشيايفانز، مرجع ذكر سابقا، 2009، ص. 40.

[42]. انابيل موني و بيتشيايفانز، نفس المرجع، 2009، ص. 41.

تعرضها المؤسسات ومن خلال الحركات المناهضة لها، فنجد مثلا أن الحركات المناهضة للعولمة هي عرض لأزمة التشريع التي نتجت عن نقص الاستجابة، من قبل مؤسسات الحكم، لمفاهيم مثل المواطنة أو العدل أو الصالح العام. شهدت تونس أزمات في القرن العشرين كانت أسبابها نظام الحكم المستبد أي الحكم الفردي المطلق غير المقيد لا بدستور ولا بقوانين كما كان للقرابة والزبونية السياسية دور وأصبحت قاعدة لإسناد المهام دون العودة إلى كفاءات الأشخاص كما تميزت أجهزة الدولة في تلك الفترة بفقدان النجاعة والكفاءة والقدرة على التصرف، والفساد الذي تعرضت له خزينة الدولة إثر كل هذا في الصعيد الاقتصادي والمالي والاجتماعي وحث العديد من المصلحين على النظر في هذه المسائل كما شهدت تونس زيادة كبيرة في الضرائب مما خلق حالة اختناق اجتماعي وحالة تهميش للنخب السياسية وهو ما شحن الفئات الطلابية داخل الجامعة فتهيأت لمعركة طويلة المدى مع السلطة بعدما برزت أزمة ذات رأسين الاستقلالية و التمثيلية بعد التشكيك فيها عند تنصيب قيادة طلابية تتبع السلطة فدخلت في صراع انتهى بحركة 5 فيفري 1972.

ترسيمة[43] عدد 1 :مسار منظمة الاتحاد العامل طلبة تونس والتحولات التي طرأت عليها

ما معنى أن تكون مناضلا داخل الجامعة :

تستنكف الموسوعة العالمية على إدراج لفظ المناضل ضمن المفردات العلمية التي تستحقّ الشّرحَ لأنّها قد لا ترقي إلى مستوى المصطلح، وتكتفي بشرح لفظة militaire أي عسكري. وإذا ما افترضنا أن الألفاظ التي تتقارب في الصوت ,militant militaire قد تتعادل في المعنى، فإنّ المناضل يبدو أقرب إلى اللّغة العسكريّة منه إلى أيّ لغة أخرى كلغة العلم، بما في ذلك من معاني التّضحية والفداء والمقاومة وصدارة المواجهة. وفي اللاتينية تعني militaire أن تكون جنديّا، ولم تكتسب دلالتها الفكرية إلا في نهاية القرن السابع عشر في الثقافة الغربية، لتشير إلى ذاك الذي يناضل بدوغمائية من أجل فكرة أو ضدّها.[44]

وورد النضال في لسان العرب في معنى الغلبة والسّبق في الرّماء[45]، وكذلك المدافعة بالمحاجّة، وفي هذا معنى الالتزام بفكرة والجهاد من أجلها وبالدلالة العربية المعجمية لنَضَلَ، ومنها المناضلُ والنّضالُ، لوجدنا أبرز ما فيها معنى المدافعة بالمحاجّة نزوعا إلى الغلبة والسَّبق، ولعلّ هذا أدقّ ما فيها لأنّه نضال يضفي على نفسه قوّة الحجّة والحجّة هنا ليست عقلية بل قوّة اجتماعية تستند إلى ما لديها من عناصر القوّة، على أنّ ما جرى تداوله في الاستعمال حصر المناضلَ في الدين والسّياسة، ولا نذكر الأيديولوجيا، لأنّها، مع فارق الاستعمال، يمكن وضعها في خانة الدّين.

---

[43].تعد هذه الترسيمة خلاصة مسار الحركة الطلابية من خلال تشكيلاتها السياسية واهم المحطات التي مرت بها وابرز الازمات التي عاشتها وهي خلاصة علمية لكل المجهود الميداني الذي قمنا به الجدة فيها انه اكتشفنا من خلال عملنا الميدان دورية النزاعات والانشقاقات التي عاشتها وتعيشها المنظمة الطلابية تقريبا كل 19 سنة ومن خلالها نفهمكل التحولات التي طرأت عليها.

[44]. André Akoun et Pierre Ansart, *Dictionnaire de Sociologie*, « Terme militant », Paris, Seuil, 1999, p. 341

[45]. . ابن منظور، لسان العرب، لبنان، دار صادر، 1997، ص. 205

بالمعنى السوسيو- أنتروبولوجي للفظ يصعب الإمساك به إلاّ إذا كان الفاعل مناضلا ويجهل أنّه كذلك، ما دام لا يوظّف بانتهازية نضاله ولعلّه المناضل بإضافة الـ : التعريف، ففعله يتطلّب حدّا منا لطبيعيّة ودون ذلك يصبح ضربا من الحسابات السياسية وإذا ربطنا كلمة المناضل بمختلف الأصناف الاجتماعية لوجدناها، أقرب إلى الطبقة الوسطى المتعلّمة منها إلى غيرها، أي نزولا إلى الأدنى أو صعودا إلى الأعلى، إذ يقلّ استعمالها لدى الأغنياء والفقراء، إمّا حفاظا على الوضع القائم (حالة الأغنياء)، أو يأسا من إمكانية تغييره (حالة الفقراء) و وحدها الطبقة الوسطى المتعلقة برغبتها في الصعود تميل إلى تكثيف استعمال اللفظ في معنى الأخ أو الرفيق. ولا يعني هذا أنّ بقيّة الأصناف الاجتماعية ليست مناضلة، ولكن طموح الطبقة الوسطى ورغبتها في الإقلاع يجعلها مرشّحة أكثر من غيرها لتنخرط في النّضال. وتختلف دلالة المناضل أيضا باختلاف السياق التاريخي وبحسب المرحلة السياسيّة. فالمناضلَ عادة منزّلٌ ضمن سياقات الإنتاج والاستعمال، ممّا يصعّب إمكانية العثور عليه في حالته الصّرف أو المحض، والمطلق والحقيقي. فالمناضل المحض لا وجود له لأنّه غالبا ما يقترن بالالتزام بموقف أو رؤية ضدّ أخرى، كالارتباط بفكرة في لحظة زمنية معيّنة، وتسانده قوّة اجتماعية تمنحه خطأ أو صواب هذه الصفة، وتمنحه الشّرعيّة ودون ذلك يصبحُ المفهوم وفاعله دون معنى، إن لم ينقلب إلى ضدّه. فالكلمات المحايدة لا وجود لها كما يقول بيير بورديو فما بالك بالمناضل الذي يتطابق في معناه بالملتزم[46]. وهنا نعني به فئة الطالب الناشط الذي يناضل من اجل رؤية او اطروحة او مشروع مجتمعي من داخل اطر الجامعة.

ويعتبر المناضل الحقيقي داخل الاتحاد من يدافع عن هذه الرؤية التي تتمثل في الدفاع عن استقلالية الارادة والقرار الطلابي تجاه السلطة والأحزاب السياسية على حد سواء و عن حرية العمل النقابي والسياسي داخل الجامعة ديمقراطية وتشاركية فيها حرية التفكير والعمل النقابي والسياسي وفك ارتباط الجامعة بلوبيات المال (الخوصصة التي رهنت الجامعة اليوم) و فك ارتباط الجامعة بالبرامج المسقطة من قبل الدوائر الامبريالية الناهبة والمكرسة للتبعية الاكاديمية والبيداغوجية ويكون ضد منطق العنف والشيطنة والتخوين والتكفير الموجودة اليوم داخل الجامعة والساحة الطلابية لا لفرز الخطوط ودحر الرايات. كما يدافع عن الثقافة الوطنية للشعب لأنها مصدر التثوير والتحديث ومصدر العقل والدفاع عن المسار الثوري ومواجهة الاعداء ليكون الاتحاد الذراع النقابي والرافعة السياسية والثقافية لتطلعات الطلبة ومطالبهم.

الثابت والمتحول في النشاط النضالي النقابي داخل الجامعة. أي مكان للمرأة :

إن الثابت في النضال النقابي الطلابي خلال الأجيال المتعاقبة داخل تنظيم الاتحاد العام لطلبة تونس بالجامعة هو أن لكل لون سياسي أو نقابي مسائل عديدة متمثلة في الكاريزما النضالية والأيديولوجيات التي مرت جيلا بعد جيل والتي نحتت منظومة التصورات والاعتقادات والنظريات التي تبنى عليها حياة الطلبة ومجتمع النخبة وأنماط التعبئة والتكتيك التقليدي الذي يُعني بأساليب النضال وأشكاله ومناهجه لتحقيق مهام معينة والذي يهدف أيضا إلى تحقيق العمليات الجزئية لوضعها في خدمة الهدف الاستراتيجي العام. فهو المحدد لأفضل المناهج والوسائل لتحقيق المهام النقابية في ظروف

[46]. Pierre Bourdieu, *Ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistiques*, Paris, Fayard, 1993, p. 20.

مادية محددة، ولعل أخطر مسألتين في التكتيك الذي حافظت عليها الأجيال المتواترة داخل هذا التنظيم هما الحلقة الرئيسية والتوقيت. والحلقة الرئيسية هي تلك الحلقة في سلسلة العمليات والمواقع التي إذا أمكن السيطرة عليها، سهلت السيطرة على بقية العمليات والمواقع، كأن تكون الحلقة الرئيسية (جسرا) في حالة التكتيك النضالي داخل الأطر الجامعية كما بقي المنطق الذكوري مهيمنا داخل هذا التنظيم فرغم ادعاء الألوان السياسية في الفكر التقدمي إلا أن المرأة قد غُيبت ولم تتمكن من الوصول إلى مواقع القرار فخلال كل المؤتمرات التي خاضها الاتحاد لم تتمكن إمراة من الوصول إلى الأمانة العامة باستثناء إيمان ساسي في مؤتمر 2013 والذي نازعها فيه وائل نوار فكل تنظيم ل قيادة في كل مؤتمر بالائتلاف مع مجموعة من التشكيلات السياسية والاجتماعية داخل الجامعة على مدى 26 مؤتمرا.

إن ربط نضالات النساء بما سمي بالأحزاب التقدمية أبعدهن عن القضايا الحقيقية التي تمس النساء وهو ما فرض عليهن تبني مفهوم المشاركة السياسية الاحتجاجية أو غير الاتفاقية بعدما تم استثمار مسارهن النضالي داخل الهياكل الطلابية وهو ما أثر في تنوع أشكال عملهن وفعلهن وخطابهن ضمن ديناميكية فردية وجماعية مهيكلة لإعادة بناء هوية النساء ضمن أفق النظام السياسي الأبوي ومن خلال عملية التشبيك في ذلك داخل النقابات والأحزاب والجمعيات التي دفعت بالحركة النسائية إلى أن تكون مستقلة وتفرض نفسها على المجتمع السياسي سواء مكوناته الحزبية او الدولة وهو ما سمح لهن لان يكن فاعلات اجتماعيات بامتياز ولا يستندن إلى الاطار الجامعي الذي ضيق أفق نضالهن وهيمنت علية النزعة الذكورية التي استغلت الحضور النسائي ووظفته من أجل الاحتجاج والتظاهر وتوقيع العرائض والاعتصامات واحتلال الأمكنة العامة والاضرابات، أما المتحول استنادا إلى النضالات الطلابية فنجد منطق الدعاية المتمثل في نشر الأفكار ووجهات النظر والمواقف المرغوب في أن يتبناها الآخرون والدعاية كالإعلان، تستخدم أحدث وسائل الإعلام والاتصال بالناس من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح ومنشورات، كما تستخدم أحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي، هي محاولة منظمة للتأثير في عواطف جماعة معينة و سلوكها تحقيقا لهدف عام معين، فهي نشاط كلامي توجه إلى شعوب الدول الأخرى لا إلى حكوماتها، سميت بأسماء مختلفة. الحرب السياسية و الحرب الثقافية و بالحرب النفسية.. كما تستخدم طرق التأثير في الرأي العام و ثقافة في شقها المعنوي من حصيلة النتاج الذهني و الروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي ويتجسد في الرموز والأفكار و المفاهيم والنظم وسلم القيم، والحس الجمالي. والشق الثاني يتكون من مجمل النتاج المادي والتقني (الأدوات والآلات) وأماكن الجلسات السرية وأماكن العمل والنقاشات) فالثقافة إذن هي ثمرة المعايشة للحياة الطلابية والتمرس فيها والتفاعل مع تجاربها و مراحلها، و تتمثل في نظرة عامة للطالب إلى الوجود والحياة والإنسان وفي موقفه منها كلها.

الخاتمة

برغم النضالات التي قدمتها الحركة الطلابية خلال فترات متعاقبة من تاريخ تونس السياسي وبرغم ما يقدمه الشباب من قدرات تعبيرية و تأطيرية و تعبوية داخل الجامعة إلا أن العمل السياسي في تونس يكبلهم وينزع عنهم مشروعية الوجود لتقرير مصير مجتمعهم الذي يناضلون من أجله فتبقى دائما مجرد ورقة سياسية يتم توظيفها دون تشريكها في قرارات جدية واعتبارها فاعلا حقيقيا له القدرة على الدفاع عن طروحاته الفكرية والسياسية والنقابية فتحقق مسألة

الديمقراطية يمر بتشريك المواطن باعتباره هما مشتركا بينه وبين جميع المواطنين للشأن العام لتتجاوز هشاشته، وبإسناد المهمات الصغرى للأفراد المواطنين وإدارتهم لها تجعلهم مشدودين أكثر للشأن العام وهنا نضمن للأفراد مشاركتهم في الهم الجماعي المشترك للشأن العام ولكن هذا لا يمر بالضرورة إلا بإسنادهم الحريات خاصة في المستويات المحلية، وخاصة منهم فئة الشباب الدافعة للتغيير وهنا تتأسس الوساطة مع السلطة المركزية ويستطيع الأفراد إدارة الديمقراطية و تدعيمها عبر القيادات التغييرية ومسارات العمل السياسي والنقابي في المحليات فتلعب المشاركة السياسية دورا مهما في ديناميكية الحياة السياسية وتعتبر مؤشرا لقدرة المجتمع السياسي على البناء والتغيير. ومن هنا طرح مفهوم المشاركة السياسية للأفراد الذي صنفه الباحثون صنفين شكل تعاقدي أو اتفاقي وشكل غير تعاقدي أو غير اتفاقي.

المراجع

ابن منظور، 2003، لسان العرب، لبنان، دار صادر.

احمد خليل خليل، 1999، معجم المصطلحات السياسية والديبولوماسية، بيروت، دار الفكر اللبناني.

الدريدي حميدة، الجزائر والتضامن المغاربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر السنة الدراسية 2013/2012 تحت إشراف الاستاذ ميسوم بلقاسم، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قطب شتمة.

الزغل حامد، 2002، «مساهمة اتحاد الطلبة في المعركة الحاسمة»، في مجلة روافد عدد 7، منوبة، ضمن منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة.

العياشي مختار، 2002، «ظرفية تأسيس الاتحاد العام لطلبة تونس في بداية الخمسينات»، في مجلة روافد، عدد 7، منوبة، ضمن منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

العياشي مختار، 2003، حول الحركة الطلابية الزيتونية 1945/1910 بعنوان «الزيتونة و الزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر 1958/1883، نشره مركز النشر الجامعي بمنوبة.

بن يوسف عادل، 2006، النخبة العصرية التونسية طلبة الجامعات الفرنسية 1956/1880، سوسة، دار الميزان للنشر.

بولعراس الحبيب، 2015، تاريخ تونس، ترجمة الصادق بن مهني، تونس، منشورات السراس.

بيلي فرانك، 2004، معجم بلا كويل للعلوم السياسية، دبي، مركز الخليج للأبحاث.

حرب علي، 2012، «من نموذج المناضل إلى نموذج الناشط»، في ثورات القوى الناعمة في العالم العربي من المنظومة إلى الشبكة، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.

دغيم سميح، 2014، موسوعة مصطلحات علم الاجتماع مفاهيم واتجاهات ومدارس وأعلام، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون،.

ضيف الله محمد، 2014، «الصحافة الطلابية التونسية»، في مجلة روافد عدد 19، منوبة.

ضيف الله محمد، 2015، «التحركات التلمذية وظهور الاتحاد العام للطلبة التونسيين من خلال جريدة الصباح جانفي -جوان 1952»، في مجلة روافد عدد 20 سنة 2015، ضمن منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

عبد الله ابراهيم، 2010، الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، بيروت، المركز الثقافي العربي.

لبيب طاهر، 1988، سوسيولوجيا الثقافة، صفاقس، دار محمد علي الحامي للنشر.

مراد سعدية، الحركة الطلابية المغاربية ودورها في الكفاح الوطني 1950/1900 الجزائر-تونس دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ عثمان زقب، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الوادي، السنة الدراسية 2013-2014.

موني انابيل و ايفانزبيتشي، 2009، العولمة، ترجمة اسيا دسوقي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

Akoun Andréet Ansart Pierre, 1999 ,Dictionnaire de Sociologie, « Terme militant », Paris, Seuil.

Balandier Georges, 1971, Sens et puissance : les dynamiques sociales, Paris, PUF.

Balandier Georges, 1989, Le désordre, Paris, Fayard.

Balandier Georges, 2001, Le Grand Système, Paris, Fayard.

Boudon Raymond, 1969, « La crise universitaire française : essai de diagnostic sociologique », in Annales économies sociétés civilisations, N°3.

Bourdieu Pierre, 1993, Ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistiques, Paris, Fayard.

Luchaire Jean, 1993, La jeunesse et l'insuffisante démocratie : querelle de génération et crise des démocraties, éditorial de « Notre Temps », 7ème année, 3ème série, n°201/202.

Morin Edgar, 1968, « Pour une sociologie de la crise », in communications, n°12.

Schwartzenberg Roger Gérard, 1998, Sociologie politique, Paris, Edition Montchrestien.

Sirinelli Jean-François Sirinelli, 1988, Génération intellectuelle, Paris, Fayard.